دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	البطل السياسي في مرحلة الواقعية السياسية الثورية
المصدر:	الاقلام
الناشر:	وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة
المؤلف الرئيسي:	جاسم، عباس عبد
المجلد/العدد:	س 23, ع 4
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1988
الشهر:	نيسان
الصفحات:	13 - 19
رقم MD:	182326
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	العراق ، الأدب العربي ، الأدباء العراقيون ، الثورة العراقية ، القصص القصيرة ، الروايات ، البزاز ، سعد ، التأليف الأدبي ، النضال السياسي ، الأحوال السياسية ، البطل السياسي ، المقاومة الشعبية ، التحليل الأدبي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/182326

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

البطل السياسي في مرحلة الواقعية السياسية الثورية

■ عباس عبد جاسم

كانت ثورة ١٩٦٨ ـ بمثابة نقطة إنطلاق جديدة للقاص العراقي في مواجهة واقع جديد ، ورغم انه إنفعل الثورة وتفاعل معها ، فان رؤيته القصصية في (بعدها الفني) لم تستوعب قوانين تطور حركة التغيير الثوري ، وبخاصة عند الانتقال من مرحلة سياسية محكومة بقوى ذات طبيعة برجوازية وشبه إقطاعية الى مرحلة ثورية تقودها قوى ذات طبيعة قومية عن ابطال نموذجيين ينتقيهم بدقة واعتناء وصنعة قصصية ، بقصد إستلهام التغيير الثوري ، وما يتمخض عنه من معطيات ثورية ، وقد تجسّد هؤلاء الابطال في موضوعات قصصية تصور النكوص السياسي في الماضي ضمن مناخ ثوري .

ولكن مايجعل الاستجابة الثورية في القصص العراقي بعد ثورة ١٩٦٨ ـ تختلف تماماً عن الاستجابة الثورية بعد ثورة ١٩٥٨ ـ هو انها استجابة واعية ومتصاعدة لم تتعرض الى الانتكاسة بفعل حركة الثورة المستمرة ، وبذلك استطاعت الرؤية القصصية في (بعدها الفكري) ان تعبر عن وعي فكري متقدم في ادراك القاص لموقعه الجديد من حركة الواقع ، فالقاص سعد البزاز رغم قصور رؤيته القصصية في (بعدها الفني) ، فقد كانت متقدمة في (بعدها الفكري) بحيث أشار في مقدمة مجموعته الاولى «الهجرات» التي كتب قصصها بين (١٩٦٧ ـ ١٩٧٠) الى النكوص السياسي الذي يشد القاص الى الماضي في ظل النهوض الثوري ما بعد الثورة ، إذ يقول :ـ

« هذه القصص تمثل مواقف سابقة لم تزل فيها شوائب النكوص والابطال المهزوزين .. فلتكن وثيقة تعرية لتلك الفترة التي انضجت افكار مرحلتنا المتجهة نحو الاشتراكية والمفاهيم المنهجية للثورة .. والفرح الحقيقي للانسان . والبطل المهزوز الآتي بين يديك .. حين يذل ، لاينتهي . لسنا نقوى اكثر من الكشف والادانة .. لاننا محاطون بتركة من الافكار الرجعية والليبرالية وتراث من المفاهيم السوداء قبل ان يكون هذا الكشف » . (١)

وقد عبر القصص العراقي خلال الاعوام الاولى للثورة عن حالة من حالات الاصطراع بين النكوص والنهوض ، وهذه الحالة أفرزت أبطالاً قلقين أو مهزوزين ، ولهذا نجدهم متخلفين عن مسيرة الثورة بحكم كونهم مثقلين بتركات الماضي والسياسي ، وبالتالي فهم يمارسون الاعتراف والتكفير عن خيباتهم واحباطاتهم المختلفة . وان كانت ايجابية المضمون السياسي للبطل ما بعد الثورة تشكل استجابة طبيعية لمعطيات الثورة نفسها ، فان الشكل الفني غالباً مايكشف عن مستوى متخلف في الاسلوب والمعالجة لدرجة السذاجة والمباشرة أحياناً ، وبالتالي تفتقد أغلب القصص العراقي ذات المضمون السياسي الايجابي للبطل ـ الى عناصر القوة والتحدي والبقاء بسبب عدم نضوح الشكل الفني المعبر عنه .

كما عبرت القصص العراقي خلال الاعوام التالية للثورة عن جملة من التناقضات العميقة في الواقع العربي ، وخاصة حرب تشرين ، إذ لم تكن حرباً تحريرية بقدر ما كانت تحريكية على مستوى التكنيك العسكري ، وبالتالي أفضت بالوضع العربي الى حالة (اللاحرب واللاسلم) .

ان حرب تشرين كشفت ومن ثم أكدت على ان للمقاتل العربي قدرة وامكانية على مجابهة العدو بخبرة وارادة قوية ، بل والتفوق عليه من موقع مقتدر وايمان عميق بقضيته .

ان السمة المميزة في قصص حرب تشرين ـ انه مقاتل مسلح بالوعي السياسي ، ولهذا فان السمة القتالية ـ هي سمة جديدة مضافة الى السمات الايجابية للبطل السياسي في القصص العراقي .

● سمات البطل السياسي مابعد الثورة

وما يعنينا هنا أن من أبرز سمات البطل السياسي ما بعد الثورة :ـ

* أولاً ـ السمة النضالية : أي انه مناضل سياسي يناضل من اجل قضية مبدئية يؤمن بها إيماناً عقدئدياً ، وقد عبر عن الجوانب المشرقة في ظروف النضال الايجابي قبل الثورة .

* ثانياً ـ السمة الثورية : أي انه بطل ثوري ربط مصيره بمصير الثورة ، وذلك تعبيراً عن صيرورة الواقع الجديد ضمن حركة تطور الثورة في مسارها الاجتماعي العام .

السمة القتالية : أي انه بطل مقاتل مسلح بالوعي السياسي ، إذ يقاتل وفي خياله هدف تحرري وحدوي اشتراكي .

ان هذه السمات (الثورية والنضالية والقتالية) هي فعل وانعكاس لقيم وممارسات الثورة في المجتمع الثوري ، ولهذا يسعى البطل السياسي في هذه المرحلة وفق هذه القيم والممارسات الى تجاوز حالات الخيبة والسقوط والاحباط السياسي .

● صورة المناضل السياسي

لقد لجا القاص العراقي مابعد الثورة الى تصوير واقع ماقبل الثورة ، وذلك تعبيراً عن حالة (نفسية ـ سياسية) كانت تسيطر على وعي القاص بالذات ، وقد عبرت صورة المناضل السياسي في سمته النضالية عن طبيعة صدامية قائمة على الصمود والتحدي في مواجهة قوى القهر السياسي .

صحيح انه مناضل ، مطارد ، هارب ، معذب ، ولكنه في كل الاحوال وتحت شتى الظروف يابى الاستسلام لقوى القهر الطبقي والسياسي ولهذا فهو دائماً الخلاص المتمثل بالثورة .. النموذج البديل .

ابطال قصة «معسكر الاعتقال الصحراوي رقم ١٢٥» لجليل القيسي (٢) اجبرو للعمل الشاق في هذا المعتقل ، وليس لهم من خيار سوى الاستسلام لواقع محكوم بعوامل القهر السياسي ، وهؤلاء الأسرى غالباً ما يتذكرون رفاقاً لهم في السلاح وقد انتحروا بطرق شاذة إحتجاجاً على المعاملة القاسية ، وتتلخص حقيقتهم الحياتية في هذا المعتقل في

« ان قدرة الانسان على ان يموت في هذه الدوامة هي اعلى درجات الحرية » .

ان أبطال القصة ، نماذج سياسية مقهورة سيكولوجياً ، لدرجة يبلغ فيها القهر الى ان تعمل بلاوعي ، وتركض بلا إتجاه ، وهم بذلك يتوحدون في أن نهايتهم محكومة بالعدم والموت والانتحار .

واذا كانت ميزة قصة « معسكر الاعتقال الصحراوي » ذات صوت واحد (ضمير المتكلم الراوي) فانها تشكل بداية جادة وجديدة للخروج من دائرة البطل الواحد الى الابطال المتعددين في ملامحهم المعبرة عن مستويات متعددة للواقع السياسي .

واذ تبدو (تجربة الاعتقال) في هذه القصة وكانها من تجارب الفدائيين الفلسطينيين المعتقلين في الأرض المحتلة ، فان عنصر الغرابة والتغريب فيها قد اضعف دلالتها الواقعية

وبالتالي فان ابطال قصة (المعتقل الصحراوي) نماذج ليست سلبية ، وانما هي نماذج ايجابية جداً بدليل إنها تبحث عن الحرية عن طريق المقاومة النفسية من داخل أسوار الخوف والاضطهاد النفسي والجسدي . (٣)

اما مسعود الظاهر بطل قصة «المغارة» لأحمد خلف (٤) مناضل مطارد آثر اختيار طريق المقاومة وعدم الاستسلام لقوى التسلط السياسي ، كما وقف ضد القانون ، لذلك يقطع الصحراء هرباً من السلطة ، وهناك يواجه ظروف الطبيعة القاسية من البرد والحر والجوع والعطش والذئاب الجائعة بعد ان تحول رفاقه الثلاثة الى جثث في الصحراء .

و (الظاهر) نموذج من النماذج التي وقفت بعد هزيمة الخامس من حزيران نداً لقوى الاستسلام والهزيمة ، وبذلك كانت الهزيمة من أهم الاسباب القوية الدافعة والمحركة لمسعود الظاهر في انتهاج طريق المقاومة الشعبية المسلحة .

ان اللقاء الذي ينعقد بينه وبين تلك المراة الضائعة وسط الخوف والمعارك في الصحراء ، كان سبباً لانقياده الى تلك المغارة ، وهناك اثناء الحصار تخترق جسد المراة رصاصة من رصاص القتلة ، عند ذلك «لم يعد يعلم أهو الذي توقف عن الرمي أم انهم فعلوا ذلك قبله» . والبطل في قصة «الرجل النجمان ياسين» (٥) مناضل يتجاوز تجربة الاعتقال بثقة وايمان وكبرياء رغم التعذيب النفسي والجسدي ، ولعل قمة صموده في صمته :ـ

* «الصمت أبلغ من الكلمات في احيان عديدة ، الصمت سلاح رهيب يدمر عدوك ، الصمت قوة تحتل الأخرين» .

«اعرف انكم تخافون المواجهة وتخشون هذا الصمت . يرعبكم . أعرف ذلك ، ولذا أتحصن بهذا الدرع المنيع صمتي » .

واذا كان البطل في هذه القصة هو «مناضل حقيقي جداً» فقد حوّله القاص الى «بطل خرا في جداً» لسبب بسيط انه تعامل معه وكانه يفوق البشر .

صحيح ان المناضل الحقيقي هو اشبه بقلعة لا يمكن أن يخترقها الجلاد ، وقد ينتهي المناضل نتيجة التعذيب النفسي والجسدي دون ان يعترف او يعلن براءته ، ولكن ليس من المعقول ان يتحول المناضل في هذه القصة (وبقدرة قادر قصصي) الى رجل اسطوري او حديدي ، لان النضال ليس ضرباً من التصوف او (النرفانا) ، بل هو معاناة نفسية وفكرية وجسدية ، تمر عبر مجالدة الذات ومغالبة قوى القهر السياسي .

وتكشف قصة «المهمة لعلي الناصري» (٦) عن مناضلين - الاول معلم مفصول والثاني شاب يكلف بمهمة توزيع المنشورات السرية ، ثم يتعرضان الى مطاردة السلطة البائدة عبر انتقالات مركزة لمظاهر تلك الظروف السلبية من النضال السري :

* «ماذا ؟ (اشتراكي) افهم . افهم .. كلمة السر .. انتظرتك منذ ساعة .. هس .. شرطي اخفض صوتك ..» .

* «ماذا ؟ انين . نعم .. هذا واضح .. رجل مريض ؟ كيف عرفت ؟ اوه كلهم مرضى .. الأتشم الرائحة .. النتنة . المياه الراكدة .. » .

وتتميز قصة «المهمة» في انها لاتؤرخ لمناضل سياسي وحسب ، وانما تقوم باعادة بناء الشخصية المناضلة باسلوب فني جديد ، استخدم فيه القاص اسلوباً في تسريع تنمية الفكرة او الحدث .

وفي قصة «قراءة في أوراق الفجر» لعلي الناصري أيضاً (٧) نجد البطل مناضلاً تشده حالتان :

* الاولى - وضعه داخل السجن .

* الثانية - وضعه خارج السجن .

والمهم المشترك بين هاتين الحالتين ، هو لغة النضال المشترك بين المناضل وأمه «ما الذي يعقب الليل ؟؟ / وسرعان ما يكتنف عيني ضوء باهر يغطي الارجاء ، تخفق في سمائه طيور ناصعة البياض ، فالمحها تبتسم بغبطة - كمن تقرأ افكاري ...» وهذا من طرف ، ومن آخر وهو داخل السجن «ماذا تقرأ ؟ / النشرة الداخلية / كيف وصلت إليك ؟ / ادخلتها امي ، دستها في الاكل ..» .

كما ان معاناة هذا المناضل ، هي جزء لا يتجزأ من معاناة اقسى واصعب لرفاقه الآخرين وهم يتعرضون للقهر النفسي والجسدي : «حركت الورقة في بقعة مضيئة ، وقرأت بخفوت «.....» في الخارج كان ثمة طير ينعق .. واصداء تتردد بشخير حاد لمصدور ، وهمهمات مكتومة اشبه بالتنهدات تتقاذفها الافواه ، وتتخللها احياناً ، صرخات فزعة او ضربات عنيفة بالأيدي او الارجل كمحاوله للخلاص من كابوس رهيب» .

وتتصاعد لحظات الترقب والتوجس والخوف الى ان يفاجأ بذلك الصوت الاجش «لا تتحرك .. هات ما عندك وتعال معنا» .

ويقطع القاص الحدث ، بينا يتركنا متوحدين إزاء ما يحدث .. وهذا ما يجعل القصة غير تقريرية رغم انتقالاتها التسجيلية ، ولهذا فهي تبقى مزيجاً من الهم النفسي والسياسي المتوتر حتى نهايتها المفتوحة . (٨)

* صورة البطل الثوري

تميزت الاستجابة القصصية للثورة ، في انها استجابة واعية ، وبذلك كانت الانتقالة القصصية من (الحلم الى الواقع) انتقالة تطورية من مرحلة الاحباط السياسي الى مرحلة التجاوز الثوري ، ولم تخل هذه لانتقالة بالتوازن النفسي والفكري للقاص ، لسبب ان الثورة خلقت وضعاً جديداً قوامه الحرية والعمل والاطمئنان للمستقبل .

وعلى الرغم من الموروث السياسي المشحون بالخيبات والانكسارات والاحباطات السياسية ، فقد كانت الثورة بالنسبة للقاص نقطة إنطلاق جديدة باتجاه إكتشاف قوانين تطور حركة الثورة في الواقع المعاش ، وبخاصة على مستوى نوع وحجم التغيير الاجتماعي الذي احدثته الثورة في البنى السياسية والاقتصادية .

وقد حاول القاص استلهام (صورة الانسان الجديد) باعتباره وسيلة وغاية الثورة ، وان كانت ملامح هذه الصورة قد تبلورت من حيث الروية الفكرية ، فهي لم تتبلور من حيث المعالجة الفنية ، وبذلك اخفقت القصة في ان تقدم لنا إنسان الثورة الجديد .. كانسان واقعي بسيط منفعل وفاعل في حركة الاحداث والتحولات الثورية .

واذا كان البطل هو نتاج فكري للقاص ، فان صورة البطل في القصص العراقي ما بعد الثورة تمثل صورة القاص العراقي نفسه ، بكل ما تحمل هذه الصورة من خلفيات وابعاد نفسية واجتماعية وسياسية ، وبالتالي كانت صورة البطل انعكاس لصورة المثقف البرجوازي الصغير بهمومه الفكرية وتطلعاته الثورية .

ان هموم ابطال موفق خضر في مرحلته الاولى (الانتظار والمطر) و (مرح في فردوس مفقود) هي هموم برجوازية فردية ،

اما هموم ابطاله في مرحلته الثانية (نهار متالق) و (اغنية الاشجار) فهي هموم برجوازية صغيرة تذوب في هموم إجتماعية اكبر منها .

إن بطل قصة «اللافتة»(٩) مثقف برجوازي صغير ، يدرك بانه جزء فاعل لا يتجزأ من حركة الجماهير وطليعتها الثورية التي خرجت في تظاهرة ثورية .

ولكن القصة تفتقد الى ديناميكية الفعل الثوري ، لانها لم تخرج عن إطارالوصف الفوتوغرافي لجماهير الثورة ، وهي تتحرك بحماس ثوري :

«الرؤوس تتموج بمستوى واحد مثل تيارات مائية ، ويزخ الشارع حنانه الدافق ممتزجاً بعرس الاصوات الهادرة الهاتفة» .

وقد لجا القاص في تصوير هذه التظاهرة الى رسم معادلة مسبقة ، تنطلق من ماضي القمع السياسي في مقابل التحرر السياسي وشرطة ومطاردة .. هل تذكرين الماضي » .

وعلى الرغم من ايجابية المضمون السياسي لقصة «اللافتة» ، فقد كانت بحاجة الى (وعي يقظ) للواقع ، بحيث لا تكون الرؤية القصصية غائمة بلا سيماء فكرية ، وبخاصة السيماء الفكرية للبطل في القصة . (١٠) .

وعلى الرغم من ان بطل موسىٰ كريدي في مرحلته الاولىٰ ، هو بطل لا منتمٍ بالمعنىٰ الايديولوجي ، فقد كان يعاني من إحباط سياسي يدفعه باتجاه هروبي إنهزامي على الدوام بحثاً عن خلاص غير واقعي بالأساس .

فالنداء الخفي الذي يشد بطل كريدي الى (ماوراء الواقع) ليس سوى حلم مشوش او امل غائم .

ولكن انتقالة موسىٰ كريدي من منطقة الاحباط السياسي الى منطقة التجاوز الثوري ، كانت انتقالة مصحوبة بقلق سياسي ايجابي مشروع تماماً ، وبخاصة انه يرى بان مهمة القاص ما بعد الثورة هي :ـ

« التقاط المعاناة الخاصة لهذا الشعب ، ورصد تجاربه ، واحباطاته وتقدمه وافراحه ، وانكساراته الداخلية ومدى تقبله الفكرة الجديدة ، واستعداده لتقبل وتمثل فكرة الانتقال الى حياة جديدة خالية من البؤس والاستغلال والجريمة والخوف والعقد ، وهي مرحلة التحول الى الاشتراكية » . (١١)

اذن فان كان البطل وحصانه في قصة «مرمىٰ القاع الآخر» (١٢) محاصرين ومحبطين بفعل قوىٰ مجهولة ، فان البطل وحصانه في قصة «الحصان» (١٣) قويان ومتوثبان للاغارة على الاعداء ، بل كان الحصان «سيداً يسمع حمحمته وتتيقظ اذناه وتنتصبان ، وحين يسمع عن بعد رنة الصهيل يهزه طرب قديم » .

ان منعم العز في قصة «الحصان» مناضل ثوري من اجل قضية ثورية ، وحصانه وسيلة تعبيرية لنقل هذه القضية الى موقع جديد ومتقدم ، بدليل ان منعم العز « يتحين فرص الاغارة ، والهجوم المباغت » على الاعداء باستمرار .

ويتوحد منعم العز مع حصانه في وحدة مصيرية ، قال وهو يرج راس الحصان كما لو انه يرج غصناً لشجرة : ان هذا امر صعب محزن وصعب .. ان تموت قبلي اليس كذلك ؟ » .

وفي الوقت الذي كان يتخذ بطل كريدي اللامنتمي (١٤) في مرحلته الأولىٰ (من الموت) صورة من صور العدم واللاوجود ، فان بطل كريدي المنتمي (١٥) إلى قوى الثورة يتخذ (من الموت) صورة فلسفية جديدة « لابد انك اقوى من الموت .. واقوى مني ايضاً » .

وعلى الرغم من الحصار المميت ، فان منعم العز لم يهادن ولم يستسلم ، بل كان يقارع الاعداء في محاولة لاختراق الحصار المتشكل من حوله بحثاً عن منفذ لخلاص مجسداً في تحقيق ذلك الحلم الثوري .

ولكن موت الحصان بالرصاصات الثلاث التي تخترق راسه ، هذا الموت بالذات يثير جملة من الاشكالات الفنية والفكرية وفي مقدمتها :ـ

متىٰ يكون القلق السياسي مشروعاً ؟

ومتىٰ يكون التناقض او الانسجام بين الموقف الايديولوجي والنتاج الفكري للقاص ؟

اذن قصة «الحصان» ذات شحنة ثورية ، ولكنها تكشف عن ذهن قصصي مشحون بقلق سياسي . (١٦)

اما عبد الرحمن مجيد الربيعي ، فقد سئل :ـ

« هل التجاوز الثوري نتيجة موقف انتمائي ايديولوجي ايجابي ؟ » .

وقد اجاب قائلاً :ـ

« ربما نعم . وربما لا . التجاوز الثوري يحققه اشخاص نادرون يملكون خصائص نادرة ايضاً ، انهم يلتمعون كالمعادن الثمينة ، ويشكلون نقاطاً مضيئة وقيادية في المسيرة التنظيمية التي ينخرطون فيها » . (١٧)

ان بطل قصص عبد الرحمن مجيد الربيعي في مرحلته الثانية ، نموذج إيجابي في موقفه السياسي ، لانه يسير وفق اتجاه ايديولوجي محدد في ذهن الكاتب اولاً وقبل كل شيء ،

ولكنه أحياناً يتجاوز الالتزام لصالح حرية الالتزام السياسي نفسه .

في قصة «سيد الزمن» فنان ينشغل بصياغة لحن ثوري ، يحاول فيه ان يسهم في عملية التغيير الثوري ، لدرجة يصل إيمانه بالثورة الى ان يردد مقولات «ثيودوراكس» اولاً « ايتها الشمس سانظر في عينيك حتىٰ يجف بصري » ، ويتوحد مع الزمن الثوري ثانياً « كنت عندما ابدأ في كتابة الموسيقىٰ سيداً للزمن والموت وكنت الزمن » .

ان حياة الرسام هنا هي محور بين الماضي السياسي بكل ما ينطوي عليه من قمع وإرهاب واستلاب من جانب ، وبين الحاضر الثوري بكل ما ينطوي عليه من تحرر وانعتاق وامان من جانب آخر .

ويحاول الفنان ان يستلهم من روح الثورة (لحناً ثورياً) يجسّد فيه شعوره الوطني باحدىٰ المناسبات الوطنية ، ولكن ثمة ذباته تحوم من حوله ، فينشغل بها دون إتمام لحنه ، كما ينشغل ايضاً ببكاء طفله ، ومع ذلك يحاول إتمام لحنه الموسيقي .

وبالتالي يصبح اللحن مزيجاً من مرارة الماضي السياسي واشراقة الحاضر الثوري عبر معاناة نفسية وفكرية ، وقد صار لحنه مشحوناً بالفرح والانعتاق والتطلع الى المستقبل .

ان «سيد الزمن» هو ذلك البطل السياسي الذي يتجاوز إحباطه السياسي ، ومن ثم يسجل انتصاره على نفسه وعلى اعدائه الطبقيين والسياسيين ، وذلك بانتصار الثورة نفسها ، وبالتالي فهو الفنان الذي أطلقت الثورة طاقته النفسية الكامنة ، فخلق منها ذلك اللحن الثوري الجديد تعبيراً عن إنطلاق روح الحياة الجديدة في رحاب الثورة . (١٩)

وبرؤية رمزية واقعية من حيث الرؤيا والمعالجة والموقف - يقدم كاظم الاحمدى الطائر في قصة «طائر الخليج» (٢٠) كوسيلة وغاية وهدف « بحيث لا يتحول الى قضية تقليدية بل يستوعب قضية قومية ويتمثل وجودها الواقعي رغم انها قضية مرموزة » . (٢١).

والطائر هنا - « كما لو كان في ساحة معركة تدور رحاها على الماء » ورغم انه وحيد كما يبدو فهو يستطيع « ان يقود سرب الطيور » .

ان « طائر الخليج » رمز قيادي واضح ، فهو اشارة رمزية ، كما انه تشبيه رمزي « شبه الطائر برئيس البحارة ، فتذكر على الفور وقفة الرئيس امام بحارته ، عند صدر السفينة يتاملهم واحداً واحداً ، ثم شرع يشرح لهم خط سير السفينة باتجاه الجنوب دائماً » .

وللدلالة الرمزية في «طائر الخليج» دلالة واقعية ، وبذلك لم يعلُ الرمز الواقع ليصبح قائماً بذاته ولذاته ، وانما اغنىٰ الواقع بدلالته التعبيرية » . (٢٢)

● صورة المقاتل المسلح بالوعي السياسي

يسير المقاتل في حرب تشرين في خط معاكس تماماً لحرب حزيران ، فهو لم يكن محكوماً بالهزيمة من الداخل (كما كان في حزيران) قبل ان تتجسد هزيمته كفعل في الواقع الميداني ، بل كان على قدر كبير من الايمان من الداخل بحتمية انتصاره على عدوّه من الخارج .

ان البطل هنا - مقاتل واع يقظ ، مؤمن بقضيته ، بحيث يعرف لماذا يقاتل ، وماذا كان يجري من حوله ،لذلك عندما يتوقف القتال رغماً عنه ، سرعان مايدرك - ان الحرب في تشرين مجرد لعبة سياسية للتحريك وليس للتحرير ، ولهذا من الطبيعي ان يحس بمرارة الواقع السياسي ، وبالتالي ان يسخط ويحتج احياناً ، ويرفض ويتمرد احياناً اخرىٰ .

ولكنه لم ينكسر - كما إنكسر في حزيران - بل تجاوز انكساره السياسي السابق بروح إقتحامية جريئة وشجاعة ، ولو قدّر له ان يستمر في القتال ، لتغيرت صورتي (الراهن) و (المستقبل) في الواقع العربي ، ولكنه اوقف عنوة ، عند ذلك عاد وهو يحمل صورة مشرقة لمقاتل عربي لم يتقهقر ، وهذه الصورة تنطوي على الكثير من عناصر الأمل والتطلع والتفاؤل بالمستقبل .

برؤية تسجيلية ، وباسلوب اقرب الى الريبور تاج الصحفي ، يترسم القاص لطيف ناصر حسين في قصة « الولادة » (٢٣) مسار مقاتل يبدأ من بيته ، ثم في الشارع ، والى جبهة القتال ، وهو يعيش حالة من الزهو والكبرياء . وعندما تتوقف الحرب ، يعود من جبهة القتال ، وقد سيطرت عليه حالة من الحزن والخيبة والمرارة :

* « رتل الشاحنات يتقدم بسرعة » .
* « رتل الدبابات يعود متباطئاً » .

وقد اعتمد القاص معادلة رمزية واقعية بين مخاض زوجة المقاتل ومخاض حرب تشرين ، ففي الوقت الذي تمخضت فيه الزوجة عن ولادة ميتة ، تمخضت حرب تشرين عن ولادة ميتة ايضاً ، وبالتالي اراد القاص ان يقول ان الاحساس بالانكسار قد بدأ بالذات ثم تجسد في الواقع العربي السياسي

وفي قصة «مَن لوى أعناق المدافع» لعلي الناصري (٢٤) خيط متوتر يقودنا الى مَن اوقف الحرب في تشرين امام

اندفاع المقاتل العربي ، عبر ردود فعل (نفسية ـ سياسية) :ـ

« الاعداء يفرون من امامي .. اتركوني اذن .. لم يجف دمي بعد .. لماذا اوقفتم القتال .. من اجل مَن لويتم اعناق المدافع وعنقي ... ؟!! » ولان القاص قد لجأ الى استخدام الضمائر المتعددة باسلوب غير متبلور بكيفية الانتقال من ضمير الى آخر او من زمان الى آخر ، فان هذه الضمائر قد تداخلت لدرجة جزات الصوت السياسي للقصة ، واصبح له اكثر من صدى .

واذا كان الصوت السياسي قد تجزأ بسبب إحكام الصنعة الفنية بوعي قصصي مسبق ، فان هذا الصوت الذي ينطوي على عدة ضمائر متداخلة ، كان ينمو ويتشكل على خط درامي مشحون بالحزن والمرارة والاحباط ، لذلك إحتفظت هذه القصة بخاصية التصعيد الدرامي الى مستوى الاحساس الحاد بالفجيعة رغم صنعتها الفنية التي بالغ فيها القاص بتعمد واضح .

وفي قصة « الاصبع التي شيعها الرجال » لمحمد عطا الله (٢٥) وهو قاص شاب ، نشم رائحة خاصة لحرب تشرين ، وهي ليست رائحة القتلىٰ والبارود في قصص الحرب التقليدية ، انما هي رائحة الشهيد التي تشدنا لحظة غيابه ولحظة حضوره من جديد عبر طقوس من التشييع والحماس والاعجاب في محاولة لتجاوز مراسيم البكاء والخوف والياس المعتادة .

فالحرب ، لعبة سياسية ، وهناك من يحرك أطراف هذه اللعبة ـ.

« فتح النادل المذياع ، فانطلقت من فمه الحرب واخذت تتدحرج امامنا على الطاولة » .

وبضمير المتكلمين ، يشكل القاص إدانة ازاء مَن تحكم بحركة الحرب في تشرين ، ثم اوقف الحرب عند حدود التحريك ، ولم يتجاوز التحرير :ـ

« نحن لاعبون . والكرة تتدحرج امامنا . كان الهدف سهلاً ، وكنا واثقين من وصوله تماماً عندما إنطلقت فجاة صافرة الحكم معلنة انتهاء الوقت » .

ان « الاصبع التي شيعها الرجال » هي اصبع الشهيد (وحيد) الذي يشير الى موضع الاتهام في حرب تشرين .

وفي هذه القصة لانجد بطلاً سياسياً ، بل نجد صوتاً جماعياً ذا دلالة سياسية مقرونة باصبع الشهيد الذي يشير الى قضية إنكفاء حرب تشرين بالذات بوضوح ودقة .

وفي قصة «حمد صالح .. انك تكتب قصة جيدة » (٢٦) يتخذ سالم العزاوي من حمد صالح (كقاص وجندي) محوراً فكرياً على صعيد الموقف السياسي ، وكذلك محوراً تجريبياً على صعيد التكنيك الفني ، وبذلك اوجد القاص معادلة (فنية فكرية) تبتدىء بحالة النكوص في هزيمة حزيران لتنتهي بحالة الشموخ في حرب تشرين ، وذلك من خلال بطل سياسي واقعي هو (حمد صالح) كقاص ومقاتل في آن واحد .

ان موضوع (حمد صالح ..) اكبر من ان تستوعبها قصة قصيرة ، لذلك افتقد فيها البطل الى (السيماء الواضحة) وبخاصة عندما لجأ القاص الى إسلوب السرد القصصي المباشر بضمير المخاطب . (٢٧)

● الخلاصة ●

وما نخلص إليه ، ان البطل السياسي في القصص العراقي ما بعد ثورة تموز ١٩٦٨ ، قد تبلورت ملامحه السياسية بالشكل التالي :ـ

١ـ ان حزب البعث العربي الاشتراكي ، الذي قاد قوانين تطور حركة الثورة ، كان بالنسبة للقاص ـ الارضية الايديولوجية الثابتة بين عدة ايديولوجيات عائمة في الواقع ، وبذلك شكلت هذه الايديولوجية قاعدة إرتكاز سياسي لبطل سياسي جديد ذي سمات فكرية مستلهمة من نضالات الحزب الوطنية والقومية .

٢ـ ان التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي قادتها الثورة خلال سنوات التغيير ، كانت بالنسبة للقاص عوامل دافعة ومحركة للانتقال من مواقع الخيبة والانكسار والاحباط السياسي الى مواقع القوة والتحدي والتجاوز الثوري ، وبذلك شكلت المرحلة الثورية بداية ولادة بطل سياسي جديد ولد من رحم الثورة عبر مخاض سياسي طويل .

٣ـ ان الاحداث القومية ، منها حرب تشرين ، كانت حدثاً سياسياً اتاح فرصة جديدة للقاص العراقي للانتقال من موقع الهزيمة والتخاذل والاستسلام الى موقع التحدي والصمود والثبات ، وبذلك جاء المقاتل في القصص العراقي اكثر خبرة وقدرة وامكانية على مواجهة عدوّه ، وبالتالي فان ميزته الاساسية انه مقاتل مسلح بالوعي السياسي .

٤ـ ان المضمون السياسي للبطل متقدم فيما ان الشكل الفني متخلف عنه ، وبذلك فان اغلب القصص ذات المضمون السياسي الايجابي تفتقد الى عناصر القدرة والامكانية في المعالجة الفنية .

المصادر والاشارات

(١)الهجرات / قصص / سعد البزاز / بغداد ـ ١٩٧٢ / ص ٥

(٢) زليخا .. البعد يقترب / مجموعة قصص / جليل القيسي / مطبعة الاديب البغدادية / بغداد ـ ١٩٧٤ / ص ١٢٥ .

(٣) ومن القصص التي تنحو نفس المنحى السياسي لجليل القيسي قصة « زليخا .. البعد يقترب » وهي ذات رمزية دالة على بطولة سياسية يلتحم فيها الوعي بالعمل البطولي .

(٤) نزهة في شوارع مهجورة / قصص قصيرة / احمد خلف / ط ١ / مطبعة الغري الحديثة ـ بغداد ١٩٧٤ / ص ٢١ .

(٥) الرجل / قصة / نجمان ياسين / مجلة حراس الوطن / العدد (١١) تشرين الثاني ١٩٧٧ .

(٦) المهمة / قصة / علي الناصري / مجلة الف باء / العدد (٣٥١) حزيران / ١٩٧٥ .

(٧) قراءة في اوراق الفجر / قصص / علي الناصري / منشورات وزارة الثقافة والفنون / بغداد ـ ١٩٧٨ / ص ٢٩ .

(٨) ولعلي الناصري / قصص اخرى ذات منحى ثوري ، منها قصة « الولادة » وهي تصور ولادة البعثي من رحم معاناة الامة عبر مخاض امراة كانت محاصرة بنوبات الطلق والالم والقلق ، وهي امراة او بالاحرى امة اختارها القدر التاريخي (وحدها دون غيرها) لان تحمل رسالة تاريخية خالدة .

وكذلك قصة « الرجل » ويرمز فيها القاص الى فارس عربي رغم انه بطل حقيقي ، فقد ارتفع به الخيال القصصي الى مستوى البطل الهيلامي ، كما ان البعد الواقعي فيها ينمو ويتشكل من خلال شخصيتي (مزهر الجاسم) الرمز الذي يتجسد فيه جيل ثوري باكمله ، و (خضرة) الرمز الذي يمثل (المراة ـ الارض) التي عاشت سنوات طويلة من العقم والجفاف والظما ، ثم ولدت اخيراً من رحم الثورة ، وبذلك اورقت الحياة فيها واخضرت معها .

(٩) اغنية الاشجار / قصص / موفق خضر / وزارة الثقافة والاعلام / بغداد ١٩٧٧ / ص ٩١ .

(١٠) ومن القصص السياسي لموفق خضر / قصة « افراح العامل سعيد جبير » وهي تصور ولادة مشروع ثوري جديد من مشاريع الثورة العملاقة ، وذلك من خلال تطلعات عامل بسيط .

(١١) ما هي مهام القاص مرحلياً ؟ / موسى كريدي / جريدة الثورة / العدد (٢٤٥٥) بتاريخ ٥ /٨ / ١٩٧٦ .

(١٢) خطوات المسافر نحو الموت / قصص / بغداد ـ ١٩٧٠ / ص ٦٠

(١٣) قصص مختارة من ادبنا القومي الاشتراكي / اعدها وقدم لها موسى كريدي / وزارة الثقافة والاعلام / بغداد / ص ٣٩٣ .

(١٤) إشارة الى بطل قصة « مرمى القاع الآخر » .

(١٥) إشارة الى بطل قصة « الحصان » .

(١٦) ومن القصص السياسي المشوش لموسى كريدي قصة « جرح في شمس هادئة » وهي قصة ترصد وتصور العلاقة بين الحلم الفلسطيني والفعل السياسي .

(١٧) حوار مع القاص والروائي عبدالرحمن مجيد الربيعي / من الاحباط السياسي الى التجاوز الثوري / حوار غير منشور / اجراه عباس عبد جاسم .

(١٨) ذاكرة المدينة / قصص قصيرة / عبدالرحمن مجيد الربيعي / وزارة الاعلام / بغداد ـ ١٩٧٥ / ص ١٨٣ .

(١٩) ومن القصص التي تنحو نفس المنحى السياسي لعبدالرحمن مجيد الربيعي ، قصة «هموم عربية» ، وهي تصور هموم مناضل عربي مطارد يبحث عن ومضة ضوء في الوطن العربي الكبير ، وقد وجد هذه الومضة في العراق متمثلة بـ « حزب البعث العربي الاشتراكي » .

(٢٠) طائر الخليج / قصص / كاظم الاحمدي / وزارة الاعلام / بغداد ـ ١٩٧٦ / ص ٨٣ .

(٢١) قضايا القصة العراقية المعاصرة / عباس عبد جاسم / وزارة الثقافة والاعلام / بغداد ـ ١٩٨٢ / ص ١٠١ .

(٢٢) ومن القصص السياسي لكاظم الاحمدي قصة « لانهم فقراء احلام مشروعة » ، وفيها تمتزج بشارة المولود الجديد بولادة الحزب عبر احلام كبيرة مشروعة .

(٢٣) وجوه معتمة فوق زجاج صقيل / لطيف ناصر حسين / وزارة الثقافة والاعلام / بغداد ـ ١٩٧٧ / ص ١٩ .

(٢٤) قراءة في اوراق الفجر / علي الناصري / وزارة الثقافة والفنون / بغداد ـ ١٩٧٨ / ص ٤٧ .

(٢٥) مجلة الثقافة العربية / العدد (١١) تشرين الثاني / ١٩٧٦ / ص ١٢٧ .

(٢٦) الامطار / سالم العزاوي / قصص / المركز الثقافي الاجتماعي في الموصل / ١٩٧٧ / ص ٨٧ .

(٢٧) ومن القصص الاخرى التي تناولت حرب تشرين كحدث سياسي ، واتخذت من المقاتل بطلاً سياسياً قصة « شجرة البمبر » لكاظم الاحمدي ، وقصة « اغنية لتشرين » لبثينة الناصري ، وقصة « الفارس » لعلي الناصري ، وغيرها كثير .

● تقتضي الضرورة الاشارة الى ان هذا الموضوع هو فصل من كتاب نقدي للمؤلف بعنوان « مقدمة في دراسة البطل السياسي في القصص العراقي »